

مقدمة المفسر

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
نحمده ونصلي على رسوله الكريم.
بفضل الله ورحمته - هو الناصر

كلمة عن التفسير الكبير

فيما يلي ملاحظاتي على تفسير سور القرآن الكريم من سورة يونس إلى سورة إبراهيم وهي في طريقها إلى النشر. لقد بذلتُ فيها قصارى جهدي لأقدم مفهوماً سليماً صحيحاً للقرآن الكريم، وإنني على يقين أن معظم ما جاء في هذا التفسير من مفاهيم ليست من بنات أفكاري، وإنما هي من عطاء الله الرحمن، ومع ذلك فبما أن عقلي أيضاً قد ساهم في هذه العملية فمن الممكن أن يوجد في هذا التفسير ما لا يفني بالمراد القرآني كما ينبغي. لذا فإنني أبتهل إلى الله ﷻ أن ينفع عباده بما يشتمل عليه كلامه من الخير والبركة، وأن يحفظهم من ضرر الأخطاء البشرية.. ولقد رأيت لدى تحرير هذه الملاحظات أن أرسخ في الأذهان ترتيب الآيات والسور بصورة جيدة، وأرى أنه سوف تنكشف الآن على القارئ سلسلة من المعاني القرآنية في نظمٍ كاملٍ ومحكم. إن موضوع الترتيب القرآني هو من المواضيع التي كشفها الله عليّ كشفاً خاصاً. ولا يحيط أحد بشيء من علم الله إلا بما شاء، وسع كرسيه السماوات والأرض.

يقول الرسول الكريم ﷺ إن للقرآن سبعة بطون، وإن كل بطن يتضمن عدة معانٍ. فبهذا التصريح النبوي الشريف يصبح من المستحيل أن يكتب أحد تفسيراً للقرآن

الكريم يحتوي على كل ما فيه من معانٍ ومفاهيم. ومن ادعى ذلك فإنه لا يعدو أن يكون جاهلاً أو مجنوناً. ومن عزا إلى ملاحظاتي شيئاً من هذا القبيل فإنني بريء منه كل البراء. وإنه ليكفي ملاحظاتي هذه شرفاً أن كشف الله عليّ فيها -برحمته وفضله- أموراً كثيرةً وفق متطلبات هذا العصر. ذلك أن لكل عصر حاجات تختلف عن حاجات العصور الأخرى. والقرآن زاخرٌ بعلوم تخص حاجات عصر دون آخر يكشفها الله تعالى في موعدها وأوانها.

ولقد أسدى المفسرون القدامى خدمة جليلة للقرآن -لا يمكن إنكارها أبداً- وفق مقتضيات عصرهم. ولو أنهم تجنبوا خطأين لا تُسَمَّت تفاسيرهم بمحاسن خالدة. وأول هذين الخطأين أنهم أفسحوا في تفاسيرهم المجال لما أشاعه المنافقون من أباطيل بعد أن اندسوا في صفوف المسلمين، فسبب بعض محتوياتها إساءةً للإسلام وللنبي ﷺ. وثانيهما أنهم اعتمدوا لدرجة كبيرة على كتب اليهود، والأدهى من ذلك أنهم لم يعتمدوا على أمورٍ من التوراة مصدقةٍ من قبل القرآن، وإنما على روايات يهودية، فأتاحوا بذلك للمعارضين مجالاً للطعن في الإسلام.

ولو أنهم أخذوا في الاعتبار قول النبي ﷺ عن اليهود: "لا تصدقوهم ولا تكذبوهم"، لما واجهوا هذه المشكلة. أما ما عدا هذين الخطأين، فالله بنفسه جزأوهم على ما بذلوا من جهود جبارة وخدمات عظيمة للقرآن الكريم.

كما أن هناك خطأين آخرين ارتكبهما هؤلاء المفسرون، غير أنني أرى أنهم وقعوا فيهما بتأثير تيار زمامهم. وأول هذين الخطأين: اعتبارهم آياتٍ من القرآن منسوخة. والخطأ الثاني: أنهم لم يولوا موضوعَ الترتيب فيما ورد في القرآن من مطالب ومفاهيم العناية الكافية. ومع ذلك أرى أنهم قد بذلوا جهوداً مفيدة بهذا الصدد على عكس تيار زمامهم، وسعى الباحثون منهم أن يبطلوا زعم البعض أن كذا وكذا من آيات القرآن الكريم منسوخة، بيد أن سعيهم هذا لم يكن نابغاً عن إيمانٍ منهم بأن لا نسخ في القرآن بتاتاً. وكان للبعض الآخر مساعٍ لا بأس بما يتعلق بترتيب المواضع

القرآنية.

وعندي أن العلامة ابن كثير، والعلامة أبا حيان صاحب البحر المحيط، والعلامة الزمخشري صاحب الكشّاف لجديرون بالذكر الخاص من بين هؤلاء المفسرين الباحثين، وإن كان الأخير موصوماً بالاعتزال. أما الطبري فقد قام بعمل بارز بصدد جمع الروايات المتعلقة بالتفسير، بينما أحسن العلامة أبو البقاء صنعةً في مجال بيان إعراب القرآن بكتابه "إملاء ما منَّ به الرحمن". ولا ريب أن تفسير "روح المعاني" يعلو على كل الجهود التفسيرية التي بُذلت في القرن الماضي بصفته كاتباً جامعاً للعلوم الثقلية. إن صاحبه يذكر الروايات بكلماته هو عموماً كما جرّبنا، ولكن تفسيره يتضمن ملخصاً لكثير من التفاسير دون شك.

والآن نأتي على ذكر المراجع التي اعتمدتُ عليها في هذا التفسير. فأولاً وقبل كل شيء أقدم شكري العميق لذلك المرجع الأزليّ الأبدى للعلوم، الذي هو منبع كل علم، ولا علم دونه سبحانه وتعالى. إن ذلك العليم هو النور الذي يهب كل علم، وهو الذي وهب لي -بفضله ورحمته- فهماً للقرآن الكريم، فكان ولا يزال يكشف لي الكثير من المعارف القرآنية. وما سُجِّل في هذه الملاحظات ليس إلا جزءاً من تلك المطالب. فسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما المرجع الثاني فهو سيّدنا محمد المصطفى ﷺ، الذي عليه نزل القرآن، فطبّقه على نفسه بكل حركاته وسكناته، وأحاسيسه وعواطفه، وأفكاره وإراداته، حتى لكأن القرآن قد تجسّد بشخصه الكريم. لم يكن بريق عينيه إلا من نور القرآن، ولم تكن كلماته ﷺ سوى أزهار من بستان القرآن. لقد سأله فأعطانا، وإنّ هاماتنا لتتحني أمام مننه وأياديه. اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وبارك وسلم إنك حميد مجيد.

وأما مرجع العلوم القرآنية في هذا العصر فهو سيّدنا مرزا غلام أحمد الإمام المهدي والمسيح المسعود عليه الصلاة والسلام، الذي قد طهّر دوحة القرآن الباسقة من كل ما

التصق بها من النباتات الطفيلية من روايات باطلة، ورواها - شجرة الجنة هذه - بحول الله وقوته، ومكنتها من أن تستعيد نموها ونضارتها من جديد. فالحمد لله الذي قدر لنا أن نرى نضارتها وبهاءها مرة أخرى، وأن نأكل من ثمارها، ونجلس في ظلها. فمباركُ الذي عهد إليه بستان القرآن.. ومباركُ الذي أعاد إليه الحياة من جديد، وجلّى محاسنه. ومباركُ الذي أتى من الله وعاد إلى الله. اسمه خالد وسيظل خالدًا للأبد.

لقد وهبني الله ﷻ الكثير من معارف القرآن. والحق أنه لا فضل لي في ذلك، وإنما هي محض أفضال الله عليّ. وما كنت لأناها لولا جهود أستاذي المكرم سيدنا المولوي نور الدين ﷺ الخليفة الأول (لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ) الذي كان له في ذلك دور كبير. فعندما كنت صغيراً كان المرض يلازمي دائماً. فكان حضرته يُجلسني إلى جانبه قائلاً لي في معظم الأحيان: حبيبي، القراءة سوف ترهقك، أنا أقرأ وأنت تسمع. وكان في أحيان كثيرة يقرأ لي القرآن ويفسره. فهو الذي قد جعلني مولعاً بمعارف القرآن. أما الذي جعلني مشغولاً بحب هذا الكتاب الخالد فهو سيدنا الإمام المهدي مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية ﷺ. لقد كان أستاذي عاشقاً للقرآن، وكان يتمنى لو أن جميع الخلق يقرءونه. فعلمني ترجمة معانيه أولاً ثم ترجمة صحيح البخاري، ولما فرغ من ذلك خاطبني قائلاً: يا حبيبي ها قد تعلّمت كلّ علوم الدنيا. فكلّ ما عداهما ليس إلا زياداتٍ أو شروحاتٍ لهما. ولقد كان قول أستاذي هذا عين الصواب، وما لم يتمتع الإنسان بهذا اليقين تجاه القرآن والحديث فلا حظّ له من معارف القرآن أبداً.

وأخيراً وليس آخراً، أدعو الله تعالى أن يشمل بفضله كلّ أولئك الذين ساهموا في إخراج ونشر هذه الملاحظات التفسيرية. لقد اجتهدوا ليل نهار وأتموا هذا العمل في مدة وجيزة. جزاهم الله من عنده على جهودهم وتضحيتهم جميعاً. آمين.

أيها القراء الكرام، أقول لكم: إن القرآن الكريم هو للتّعلم والتّعليم والعمل به. فإذا

وجدتم في هذه الملاحظات شيئاً حسناً فاقروها، وعلموها وانشروها، واعملوا بها، وادعوا الآخرين وحُثُّوهم على الاقتداء بكم. فهذا هو السبيل الوحيد لإحياء الإسلام من جديد. يا من تُحبون أولادكم الفانين، وتسالون الله لهم طول العمر، ألا تسهمون في مساعٍ تُبذل لإحياء هذه الذكرى الربانية والمنّة الإلهية. ألا فأحيوها يَهَبُ لكم الله ولأجيالكم حياة خالدة. انهضوا فلا يزال هناك وقت، وسارعوا إلى باب رحمة الله الذي لا يزال مفتوحاً. رحمكم الله وإياي، فإنني عديم الحيلة، فاقد القوة، مَهْيُض الجناح تماماً. لو وُفِّقت للعمل لنصرة دينه - بدون أن أُعَدَّ مجرماً - فسوف يكون هذا إحساناً عظيماً منه جلّ وعلا. يا ستار، يا غفار ارحمني.. يا أرحم الراحمين برحمتك أستغيث.

مرزا محمود أحمد

٢٠ ذو القعدة ١٣٥٩ هـ

٢٠ فتح ١٣١٩ هـ

٢٠ ديسمبر ١٩٤٠ م